كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: العاشرة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة العاشرة باللغة العربية: انتشار الاسلام في السودان الغربي

اسم المحاضرة العاشرة باللغة الإنكليزية :Spread of Islam in Western Sudan

ثانيا: انتشار الاسلام في السودان الغربي

كانت اولى نتائج وصول العرب المسلمين الى بلاد السودان الغربي، هي ا انتشار الاسلام والحضارة العربية الاسلامية في تلك المنطقة. فقد كان احتكاك سكانها بالتجار والعلماء والمهاجرين العرب الوافدين الى بلادهم السبب في اسلامهم. فالهجرات البشرية، كما عرفنا سابقا، كانت من قنوات انتشار الاسلام في السودان الغربي، فامتزجت الدماء وتداخلت الثقافات. اما التجارة بين الشمال الافريقي والسودان الغربي عبر الصحراء، فقد لازمها دائما عملية نشر الاسلام بين السودانيين. فانتشار الاسلام في السودان الغربي قديم، ويعود الفضل في ايصاله الى التجارة في المقام الاول. ولذا فلم يكن المرابطون الصنهاجيون الذين اخضعوا المنطقة الى سلطة الاسلام السياسية في النصف الثاني من القرن ٥هـ/ ١١م هم اول من ادخل الاسلام في تلك البلاد بل سبقهم التجار العرب المسلمون ولكن كان للمرابطين، كما سنفصل، الفضل في ازدياد امتداد الاسلام بين سكان السودان الغربي. والراجح ان انتشار الاسلام بين رعايا البلاد السودانية كان قد سبق اسلام ملوك تلك المنطقة بصورة عامة، لا سيما اولئك السودانيين الذين احتكوا مع اوائل القادمين - من العرب المسلمين الى بلادهم ونقصد بهم التجار. ومما لا شك فيه ان اسلام الملوك السودانيين قد اسهم بنصيب وافر في اتساع دائرة نفوذ الاسلام بين رعاياهم. ويبدو ان المنافع السياسية والاقتصادية التي تهيأت للحكام السودانيين بفضل الاسلام وانتشاره، قد ادت الى حرص هؤلاء الحكام على تشجيع نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية في المنطقة باقامة المساجد والمدارس لتعليم القرآن وقواعد الدين. فكان لهذه السياسية اثرها في توسع نطاق انتشار الاسلام في البلاد السودانية يضاف الى ذلك الرحلة من اجل الحج أو طلب العلم التي ساعدت على ازدهار الثقافة العربية الاسلامية في بلاد السودان وكانت من أولى نتائج ذلك هو انتشار الاسلام على نطاق واسع في المنطقة.

هذه هي السمات الاساسية العامة لانتشار الاسلام في السودان الغربي، وسوف نحاول في الصفحات الاتية التعرف عليها بصورة تفصيلية.

النشاط التجاري وأثره في أيصال الاسلام ونشره في السودان الغربي: في البدء لا بد من القول ان لموضوع التجارة اهمية استثنائية في تاريخ العرب في السودان الغربي.فالعلاقة العضوية القائمة بين ا النشاط التجاري وانتشار الاسلام، تدعونا الى القول، انه كلما نشطت حركة التجارة نشطت ايضا حركة انتشار الاسلام والثقافة العربية في الصحراء ومناطق السودان جنوبها. ومن المؤكد ان التجار العرب المسلمين بداوا اتصالهم مع

السودان الغربي منذ وقت مبكر جدا ومع وصولهم الى شمال افريقيا في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي. ولا بد ان يكون ذهب السودان حافزا مهما لعبور التجار العرب المسلمين الصحراء وتحملهم الكثير من التضحيات. ويعد الفزاري في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي اول الكتاب العرب الذين اشاروا الى ذهب السودان في كتابه ' الزيج " وان معرفته بمركز الذهب في مملكة غانة السودانية ربما له دلالة على وصول التجار العرب المسلمين الى تلك المناطق في ايامه اقل تقدير؛ ولاجل ضمان تدفق ذهب السودان فقد بدا العرب بتنظيم التجارة عبر الصحراء ففي القرن المذكور اعلاه نجد أن والي بلاد المغرب عبد الرحمن بن الحبحاب (ولاية ١٣٠-١٣٨هـ/ ٧٤٧-٧٥٥م) كان قد امر بحفر الآبار في الطريق التجاري الذي كان يمر بالسوس الى أودغست لتسهيل سير القوافل التجارية عبره . وقد استمرت الجهود في هذا المجال في القرون التالية.

ان التجار العرب المسلمين الذين دفعهم العامل الاقتصادي لعبور الصحراء وممارستهم نشاطاتهم التجارية مع بلاد السودان الغربي، كان اغلبهم كما تقتضي التعاليم الاسلامية يطبقون القوانين الاسلامية في تعاملهم اينما حلوا هذا اضافة الى مزاولتهم الشعائر الاسلامية مثل الصوم والصلاة، مما أثار أنتباه الأفريقيين الذين عرفوا الدين الأسلامي لأول مرة من التجار وتأثروا تدريجيا : بهم فاعتنق الكثير منهم الاسلام. فضلاً. عن ان بعض التجار المسلمين الذين كانوا على المذهب الاباضي كانوا يدخلون في بلاد السودان بمحاورات ومناقشات دينية وعقائدية السكان مع السودانيين بفضل حماسهم لنشر الدين الاسلامي مما جعل مهمة التجار اقتصادية ودينية في وقت واحد ونرى من الضروري التعرف على اهم الطرق التجارية التي تمر عبرها القوافل الصحراوية للتجار العرب المسلمين واهم السلع التجارية التي كانت تحملها هذه القوافل في ذهاباً واياباً، والتقاليد والنظم التي كانت متبعة في تجارة القوافل للعرب المسلمين، وأخيراً أثر هذا النشاط في نشر الاسلام والحضارة العربية الاسلامية في السودان الغربي.

ان المعابر الرئيسية المعروفة في تجارة القوافل الصحراوية التي تربط السودان الغربي بالشمال الافريقي متعددة، كما انها لم تزدهر مرة واحدة. فقد كان هناك خط تجاري قديم يربط مصر بمنحنى نهر النيجر ماراً عبر صحراء فزان، ويبدو ان استعمال هذا الطريق قد بطل قبل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بسبب العواصف الرملية التي اتت على الكثير من القوافل التجارية المارة عبره، كما يخبرنا بذلك ابن حوقل ولا بد ان التجار العرب المسلمين قد استخدموا هذا الطريق منذ وقت مبكر ليس لنقل البضائع وحدها بل لنقل المؤثرات العربية الاسلامية الى السودان الغربي ايضا . ومنذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كانت هناك ثلاثة طرق رئيسية تستعملها القوافل الصحراوية تربط السودان الغربي بالشمال وتتفرع عنها طرق ثانوية متعدد وهذه الطرق هي: -

١. الطريق الغربي وهو الطريق الذي يربط المغرب الاقصى بالسودان الغربي، ويبدأ من مدينة سجلماسة المركز التجاري المهم الواقع في بداية الخط التجاري الغربي، ماراً بالصحراء الغربية وينتهي في مدينة أودغست المركز التجاري الواقع على الحافات الجنوبية للصحراء. أو دغست القوافل الى مدن السودان الغربي ا المختلفة وهناك فرع لهذا الطريق يبدأ من مناطق السوس في المغرب الاقصى ماراً بالصحراء الغربية منتهيا ومن يستمر سير بمدينة غانة .

٢. الطريق الاوسط الذي يربط مدينة تاهرت والمغرب الأوسط بالسودان الغربي، والذي يبدأ من تاهرت ويمر بواحة ورقلان الى تادمكة الى ان ينتهي الى جوى مركز القوافل على نهر النيجر وكان هذا الطريق يستعمله منذ مدة مبكرة التجار الأباضية.

٣. الطريق الشرقي الذي يربط مناطق طرابلس بالسودان الغربي، ماراً بغدامس وتادمكة الى ان يصل الى منحنى نهر النيجر.. وهناك فرع مهم لهذا الطريق يربط مناطق طرابلس بالسودان الاوسط (كانم) عبر صحراء فزان.

وعلى الرغم من ان هذه الطرق تتحكم بها عوامل سياسية واقتصادية تؤدي الى تغير مسالك القوافل من وقت لآخر، لكن الاتجاهات عموما تبقى ثابتة ما دامت المراكز التجارية الواقعة عليها لم تفقد قيمتها لسبب أو لآخر. ولا ريب في ان أهم مؤثرات ضعف حركة التجارة على طريق من الطرق هو مدى الضمانات الامنية التي تتهيأ للقوافل. والملاحظة الجديرة بالعناية ان الطرق التجارية الثلاثة المذكورة اعلاه كانت المسالك التي انتقل عبرها الاسلام والحضارة العربية الى بلاد السودان العربي. اما اهم السلع التي كان ينقلها التجار العرب والمسلمون من السودان الغربي الصحراء الى الشمال فيأتي الذهب في مقدمتها، حيث تعد منطقة السودان الغربي الممول الاساس للذهب في العالم الاسلامي واوربا في العصر الوسيط. وقد اثارت هذه المادة اهتمام الكتاب والجغرافيين العرب منذ القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد في اقل تقدير. ويعد الفلكي العربي الفراري اول من اشار الى ذهب السودان الغربي كما ذكرنا أنفاً ومن ثم تبعته المصادر العربية الأخرى التي وصفت طرق نمو الذهب وجمعه، فهو ينمو كالجزر في الأرض وتحفر الأرض لاستخراجه . وهناك من قال بأن الذهب ينمو في جزيرة نهر السنغال حيث من المعتاد ان يفيض الماء على عبر الماء يقوم السكان المحليون بجمع ما ظهر من حباب الذهب على سطح الجزيرة حتى تغمره المياه ثانية.

اما مناجم الذهب فقد بقيت سرية عن التجار في العصر الوسيط. ويشير البكري في القرن ٥هـ/ ١١م الى ان الذهب في السودان الغربي يأتي من مدينة غياروا على بعد ثمانية عشر يوما من العاصمة غانه، وتقع غياروا على الضفة اليمنى للسنغال الأعلى وفي بلاد معمورة بقبائل السودان اما الادريسي في القرن ٦هـ/ ١٢ م فقد اطلق على مناطق الذهب في السودان الغربي اسم " ونجارة " . وعلى اية حال، فان الذي يمكن استنتاجه من اوصاف

الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين هو ان مناجم الذهب تقع في المناطق الجنوبية من غانة على الحافات الشمالية لنهر النيجر والمناطق الغربية لنهر السنغال. ولعدم معرفة التجار بمناجم الذهب فقد اتبعت طريقة خاصة في الحصول عليه عرفت باسم " تجارة الذهب الصامتة " التي سنتكلم عنها لاحقاً. والذهب يستخرج عادة مسحوقا وهو الذي يعرف " بالتبر " او على شكل كتل ذهبية، والأخير كان يحتكره ملوك السودان (مثل ملك غانه وبعده ملك مالي). حيث لا يسمح للتجار باخراجه الى بلادهم كما يفرض حكام السودان ضرائب على مسحوق الذهب الذي يخرج من بلادهم ويحمل عبر الصحراء الى بلاد المغرب حيث يسك منه عملة نقدية في مراكز السكة في سجلماسة ووارقلان، والقسم الآخر يذهب شرقا الى أقاليم الدولة العربية الاسلامية، وبعضه يذهب عن طريق البحر المتوسط الى صقلية ومنها الى اوربا حيث يكثر الطلب عليه هذه الجزيرة ثم ينسحب وذلك في شهر آب، وعندما ينسحب وعن بضائع السودان الغربي الأخرى التي يحملها التجار العرب والمسلمون عبر الصحراء الى الشمال، فكانت مواد العاج والجلود والصمغ والكولا وغيرها.

وفيما يخص البضائع التي حملها التجار من الشمال الى بلاد السودان الغربي فهي منتجات بلاد المغرب ومنتجات الشرق الاسلامي وبعض منتجات البحر المتوسط. ومن هذه البضائع الحبوب والتمور والنحاس المصنع والاقمشة والملابس والخرز والاصواف والزجاج وغيرها. وكانت اهم بضاعة حملتها القوافل الصحراوية الى بلاد السودان هي الملح.

كانت حاجة سكان السودان الغربي ماسة للملح لا سيما لاستعماله في اغرض مختلفة وفي الطعام حيث يفقد الجسم كميات كبيرة منه في المناطق الحارة، لانعدام وجود مناجم الملح في مناطق السودان الغربي ولصعوبة نقل ما يستخرج من شواطئ المحيط الاطلسي الى الداخل لارتفاع درجات الحرارة. لذا نجد ان اهم مادة يبادلها السودانيون بالذهب هو الملح، حيث كان يبادل الحمل الواحد من الملح بحملين من الذهب وقد بلغ ثمن " حمل الملح في دواخل بلاد السودان واقاصيه ما بين مئتين ي ثلاثمائة دينار " . في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وفي ايام ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي كان ثمن حمل الملح ما يعادل ١٠مثاقيل ذهبا واحيانا يصل الى ثلاثين مثقالا .

ومن اجل المحافظة على ثروة الملح في السودان نجد ان ملوك السودان قد فرضوا على المتاجرين به ضرائب عالية قدرها دينار من الذهب على كل حمل ملح يدخل الى بلادهم ودينارن على كل حمل ملح يغادرها . اما اهم مصادر الملح فكانت المناجم الواقعة في الصحراء ويبدو ان هناك منجمين احدهما على شاطئ المحيط في منطقة قبائل بني ـ جدالة الصنهاجة ويسميه البكري باسم " أوليل " حيث كان يحمل الملح منه الى المناطق السودانية المجاورة . اما المنجم الثاني المهم في الصحراء فهو الذي يقع في الطريق الصحراوي الذي يربط سجلماسة بغانة

فيسمه البكري " تانانتال " اما ابن بطوطة فيطلق عليه اسم " تغازي " ومن وصفهما لهذا المنجم يتضح لنا انه يقع في الصحراء الغربية على بعد ٢٠الى ٢٥ يوما من مدينة سجلماسة، ويستخرج الملح منه كما تستخرج بقية المعادن حيث تحفر الأرض فيوجد منه الواح ضخمة متراكمة وتقطع هذه الالواح ثم تحمل على الجمال الى بلاد السودان. اما القرية التي يوجد فيها منجم الملح هذا فان بيوتها ومساجدها من حجارة الملح ومسقفة من جلود الجمال، لكنها كثيرة الحركة محتشدة بالتجار القادمين اليها من الشمال لحمل الملح جنوباً الى السودان الغربي .

ان التجارة الصحراوية بين بلاد المغرب والسودان والتي اصبحت في العصر الوسيط حكرا على التجار العرب المسلمين، اقتضت تنظيمات خاصة، نذكرها بشيء من التفصيل. فقد كان لقوافل الصحراء نقاط انطلاق ثابتة في الشمال مثل مدن سجلماسة، وورقلان، وغدامس، وغيرها حيث تجمع فيها البضائع المطلوبة في بلاد السودان لتحمل جنوباً، وهذه المراكز تقع عادة في الحافات الشمالية للصحراء. فضلا عن ذلك فان مراكز أخرى في الشمال مثل فاس والجزائر وتونس تنقل منها البضائع المجلوبة من بلاد السودان الى الشرق واوربا. كما كانت لقوافل الصحراء التجارية نقاط وقوف في الصحراء مثل تغازي وازقي، واكداس، وغيرها حيث توجد واحات يسمى عادة السودان الغربي حيث الطلب عليها.

ان تجارة القوافل الصحراوية اقتضت خبرة خاصة، فالصحراء الصعبة الشاقة اجبرت رجال القوافل على تأجير شخص من قبائل الصحراء ليكون مرشدا لهم في دروبها ومسالكها المميتة، بـ " التكشيف " حيث يكون عرافا بأقصر الطرق المؤدية الى بلاد السودان ومناطق المياه في هذه الصحاري الجرداء. ويبدو ان اجرة التكشيف كانت عالية حيث بلغت احيانا مائة مثقال من الذهب . كما كان كشيف اعمال اخرى يصفها لنا ابن بطوطة من مشاهداته حيث رافقه التكشيف في نه من سجلماسة الى اوالاتن ضمن قافلة كبيرة، قائلاً: " يتقدم القافلة الى ايوالاتن بكتب الناس الى اصحابهم بها، ليكتروا لهم الدور ويخرجون للقادم بالماء مسيرة اربعة (ايام) ومن لم يكن له صاحبا بايوالاتن، كتب الى من اشتهر بالفضل من التجار فيشاركه في ذلك " . ويبين لنا ابن بطوطة هذا ايضا أن لتجار القوافل العرب وكلاء في المدن السودانيةالصحراء التي تتزود منها القوافل بالماء والطعام. واخيرا هناك نقاط جنوبية تنتهي فيها القوافل التجارية كاودغست وايولاين وكوكو وغيرها وهذه المدن تقع عادة في الحافات الجنوبية للصحراء، حيث تحمل منها بضائع الشمال منها الى مختلف مدن ينظمون لهم أمورهم فيها.

كان هؤلاء الوكلاء والشركاء عادة من التجار العرب المستقرين في المراكز التجارية السودانية، حيث يعرفون عن كثب حالة الاسواق السودانية واماكن السلع المرغوب فيها . وهو يهيئون للتجار القادمين من الشمال كل ما يريدون. ولعل من اهم الشركات هي " شركة المقري التجارية " التي نشطت في القرن السابع الهجري /

الثالث عشر الميلادي، وكانت مؤلفة من خمسة اخوة من اسرة المقري المغربية. رئيس هذه الاسرة هو عبد الرحمن المقري، الذي يحتمل انه كان حيا خلال القرن الثاني عشر الميلادي، وعمل في التجارة هو وبنوه من بعده وجمعت هذه الاسرة ارباحا طائلة من هذا العمل، لانها عملت في التجارة بين بلاد السودان وبين بلاد المغرب واوربا.

كان هؤلاء الاخوة قد نظموا عملهم التجاري فيما يشبه الشركة، حيث كانوا شركاء متساوين قسموا العمل بينهم. يقيم اثنان منهم في مدينة تلمسان، المرفأ التجاري المزدهر في بلاد المغرب، واثنان في ايوالاتن، المركز التجاري الواقع في الحافات الجنوبية للصحراء في نهاية خط القوافل التجارية، والخامس في سجلماسة الواقعة في الحافات الشمالية للصحراء وهي بداية خط القوافل التجارية الصحراوية، في الشمال كان على المقيمين في تلمسان جمع السلع المغربية والاوربية وارسلها الى أخويهم في السودان المقيمين في ايوالاتن لتوزيعها على الأسواق السودانية كما كان عليهم جمع السلع السودانية من العاج والذهب وغيرها وارسالها مع القوافل الى أخوتهم في الشمال. أما مهمة خامس الاخوة الذي كان رئيس الشركة وكان مقيماً في سجلماسة فتنحصر في مراقبة الأسواق العالمية والاسعار السائدة ومعرفة السلع المطلوبة او غير المرغوب فيها، وبكلمة بسيطة هو جمع المعلومات التي تتعلق بحركة التجارة والعوامل المؤثرة فيها وامداد اخوته بهذه المعلومات. وبهذه الطريقة نجحت تجارة هذه الشركة وازدادت ثروتها واصبح لها مكانة هامة في التجارة بين بلاد السودان والشمال، ولنا ان نفترض بأن هناك آخرين مثل اخوان المقري لم تصلنا أخبارهم .

كما كان لتنظيمات التجارة مع بلاد السودان طريقة خاصة اتبعت في تجارة الذهب وهي التي اطلق عليها بـ " تجارة الذهب الصامتة " وكان المسعودي في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي اول من اشار الى هذه التجارة من الكتاب العرب.

اما ياقوت الحموي فلديه معلومات مهمة عن تجارة الذهب الصامتة، فهو يقول: " تسافر التجار من سجلماسة الى مدينة في حدود السودان يقال لها غانه وجهازهم الملح وعقد خشب الصنوبر وخرز الزجاج الازرق واسورة نحاس احمر وحلق وخواتم نحاس لا غير، يحملون منها الجمال الوافرة القوية اوتارها ويحملون الماء من بلاد لمتونة وهو الملتون... حتى يصلوا الى غانة بعد مشاق عظيمة، فينزلون فيها ويتطيبون ثم يستصحبون الادلاء ويستكثرون من حمل المياه ويأخذون معهم جهابذة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين ارباب التبر، فيمرون بطريقهم على صحاري فيها رياح السموم... حتى يقدموا الموضع الذي يحجز بينهم وبين اصحاب التبر، فاذا وصلوا ضربوا طبولا معهم عظيمة تسمع من الافق الذي يؤمه هذا الصنف من السودان، ويقال انهم في مكامن واسراب تحت الارض عراة لا يعرفون سترا كالبهائم مع ان هؤلاء القوم لا يدعون تاجرا يراهم ابدا، وانما هكذا

تنقل صفاتهم، فاذا علم التجار انهم قد سمعوا الطبل اخرجوا ماصحبهم من البضائع فوضع كل تاجر ما يخصه من ذلك، كل صنف على جهة ويذهبون عن الموضوع مرحلة، فيأتي السودان ومعهم التبر فيضعون الى جانب كل صنف منها مقدارا من التبر وينصرفون، ثم يأتي التجار بعدهم فيأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبر، ويتركون البضائع وينصرفون بعد ان يضربوا الطبول، وليس وراء هؤلاء ما يعلم "

وهكذا نجد المشقة الكبيرة التي يتحملها التجار من اجل الحصول على الذهب من اصحابه، وكيف انهم يستخدمون وكلاء عارفين بأماكن الذهب وطرق المعاملة مع "من ارباب كما نجد ان مكان مناجم الذهب بقي سرا عن التجار. ولقد حاول هؤلاء في احد المرات اكتشاف مصدر الذهب حيث قبضوا على احد السودانيين من اصحاب الذهب، ولكن هذا الاخير فضل الموت على ان يقول كلمة واحدة، فكان . نتيجة ذلك ان توقفت تجارة الذهب الصامتة لثلاث سنوات، عقابا من اصحاب الذهب للتجار، ثم عادت لانه لم يكن اما السودانيين وسيلة أخرى للحصول على الملح الضروري لهم والذي لا يمكن الحصول عليه الا عن طريق التجار القادمين الى مناطقهم.

ان وصول التجار العرب والمسلمين الى المراكز التجارية السودانية، واستقرار الكثير منهم لمزاولة اعمالهم التجارية بصورة مؤقتة او دائمة، قد جعلهم اهم واسطة لنقل المؤثرات العربية الاسلامية الى تلك المناطق وأسلام حكام وسكان مدن السودان الغربي وسنحاول ان نتعرف على وجود التجار العرب والمسلمين في بعض المراكز التجارية السودانية المهمة واثر هذا الوجود.

كانت مدينة اودغست الواقعة على مسيرة خمسة عشر يوما غربي . غانه، وعلى بعد (١٥) مرحلة من مدينة سجلماسة . المركز التجاري الواقع في نهاية الخط التجاري الصحراوي الغربي ولم تكتسب هذه المدينة أهميتها من كونها محطة لاستراحة القوافل فحسب، بل كانت سوق ونقطة لقاء بين تجار قوافل التجارة الصحراوية حيث يبادلون بضائعهم الشمالية بالبضائع القادمة الى أودغست من مدن هي السودان الغربي المختلفة .

ويبدو أن تطور مدينة أودغست (التي تقع اليوم في الجمهورية الاسلامية الموريتانية) ارتبط بالحركة التجارية النشيطة بين بلاد المغرب والسودان، فأصبحت خلال القرنين ٤-٥ هـ/ ١٠-١١م مركزا يعج بالنشاط الاقتصادي، حيث سكنها التجار العرب والمسلمون باعداد كبيرة من بينهم تجار من العراق، مارسوا نشاطهم التجاري في هذه المدينة ولا شك ان في شهرتها التجارية ووفرة ارباحها هي التي حفزت التجار العرب الى الهجرة اليها والاستقرار فيها. ويسجل لنا ابن حوقل نصاً مهماً يبين مدى الثراء الذي بلغه التجار العرب من بلاد المغرب في هذه المدينة فهو يقول: " ولقد رأيت باودغست صكا به ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أو دغست، وهو من أهل سجلماسة باثنين واربعين ألف دينار وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبها ولا نظيرا "

كان وجود التجار من أهل الشمال في مدينة أودغست قد ادى الى توسيع نطاق التجارة في داخل وخارج هذا المركز وبناء على ذلك فقد اصبحت مدينة أودغست مركزا تجاريا لتوزيع البضائع الشمالية والجنوبية فالذهب والعاج والصمغ وغيرها من منتجات السودان كانت تصدر الى بلاد المغرب عبر الصحراء. وكانت البضائع المجلوبة عوضا عنها من المغرب التي تتضمن الحبوب والتمور والنحاس والملابس والخرز والزجاج اضافة الى الملح تذهب الى اسواق مدن السودان الغربي .

ومما يلحظ ان سكنى التجار العرب باعداد كبيرة في مدينة اودغست كان له أثره في انتشار الاسلام والحضارة العربية الاسلامية فيها بشكل واسع ومنذ وقت مبكر. كما ان الاهمية التجارية لهذه المدينة جعلتها محط صراع طويلة من اجل السيطرة عليها وقد دار هذا الصراع بين الحكام السودانيين لا سيما حكام غانة وبين قبائل لمتونة الصنهاجية، وانتهى الأمر في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بان خضعت او دغست لسلطة المرابطين اللمتونيين واصبحت تابعة سياسيا لدولة المرابطين في الشمال (بلاد المغرب الاقصى) كما سنشير الى هذا لاحقا. ان توسع النشاط التجاري العربي في السودان الغربي وانتشار التجار العرب والمسلمين في المراكز التجارية السودانية، كان يحتم ايجاد مستقرات عربة للتجار في تلك المنطقة نذكر منها الحي العربي الاسلامي في مدينة غانة. فمنذ وقت مبكر شهدت مدينة غانة (عاصمة مملكة غانة السودانية) وجود التجار العرب بسبب موقعها القريب من مناجم الذهب ، فوصلها تجارا من اهل العراق بصريين، وتجار من اليمن حميريين . اضافة الى التجار القادمين من كل انحاء المغرب اليها وبمرور الزمن ، الامر الذي جعل مدينة غانة محطة تجارية ذات اهمية كبرى لبلاد المغرب والسودان الغربي، والملاحظ ان لتوافد التجار على هذه المدينة بكثرة كان سببا في تأسيس حي فيها ويبدو ان التجار العرب المسلمين في مدينة غانة أصبح كبيرا بحيث انه احتوى على اثني عشر مسجدا، كما كان تعداد المسلمين فيه كثيرا حيث كانت المدينة تعج بالفقهاء والعلماء في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي واضافة الى هذا الحي الخاص بالتجار، كان هناك في مدينة غانة – حي خاص بالملك (ملك غانة) .

ويبدو ان الجالية العربية الاسلامية في مدينة غانة قد اسهمت اسهاما بارزا في الحياة الادارية لمملكة غانة اضافة الى أثرها الاقتصادي. فالوزراء وكتاب الملك كانوا من المسلمين بل ان " صاحب بيت المال " لملك غانة، وهو منصب ذو اهمية كبرى.

كان من بين التجار المسلمين. فلا غرو اذن ان يحتل المسلمون مكانة كبرى لدى الملك مما دفع به الى ان يؤسس لهم مسجدا قريبا من قصره على الرغم من انه لم يكن قد اعتنق الاسلام بعد . وهذا يدل على ان اتساع الوجود التجاري للعرب المسلمين في غانة كان سببا في نشأة علاقات طيبة بين التجار المسلمين والطبقة الحاكمة السودانية، ولا سيما ان الاخيرين قد ادركوا الفوائد الاقتصادية التي تعود عليهم من وجود التجار المسلمين بينهم.

ومن مدن السودان الغربي التي وجد فيها التجار العرب المسلمون، التكرور (الواقعة جنوب غرب السنغال) حيث نجد ان التجار العرب قد حملوا بضائعهم المختلفة من الصوف والنحاس والخرز الى هذه المدينة ليبادلوها بالذهب والسلع السودانية الاخرى . كما شهدت مدينة التكرور نشاطا للتجار الاباضية منذ وقت مبكر لوجود صلات تجارية بين هذه المنطقة وجبل نفوسه (مركز الاباضية في تونس). وكانت اول حصيلة لوجود التجار الأباضية في التكرور هو اسلام حاكم هذه المدينة وارجابي (ت ٤٣٢ هـ/ ١٠٤٠م). الذي قام بجهود طيبة من أجل نشر الاسلام في المناطق السودانية المجاور له

كان لا بد للنشاط التجارة في السودان الغربي من ان يحمل التجار العرب والمسلمين الى المدن المتاخمة لمناجم الذهب في تلك المنطقة. ولذا نجد ان البكري في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يؤكد استقرار بعض التجار المسلمين في مدن غياروا وسامة وكوغة وملل في مناطق مناجم الذهب . في السودان الغربي، كما يذكر ان نشاطهم التجاري قد رافقه عملية نشر العقيدة الاسلامية ايضا، فأسلم حاكم مدينة ملل على يد احد التجار المسلمين القاطنين في بلاده

اما في مملكة مالي الاسلامية التي اعقبت مملكة غانه في حكم السودان الغربي، فقد نشطت حركة التجار العرب والمسلمين في مدنها المختلفة مثل مالي (العاصمة) وتكدة وولاته (اوالاتن). ويتكلم الرحالة ابن بطوطة الذي زار مدن مالي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي عن التجار العرب والمسلمين في هذه المدن وعن علاقتهم الطيبة والوثيقة مع الطبقة الحاكمة في مالي التي وصلت الى درجة المصاهرة بين الطرفين). ان اتصال التجار العرب بالاسرة الحاكمة المالية كان بالتأكيد مسؤولا عن تعريف هؤلاء الناس بالاسلام. ويبدو ان وجود العرب والمسلمين في مالي ترك اثر في حياة المدينة السياسي والاقتصادي والمعماري ايضا حيث نجد ان الطرز العربية الاندلسية في بناء بيوت مدينة مالي ومساجدها يبدو واضحا(٣). وهكذا كانت نتائج تجارة القوافل الصحراوية بين المغرب والسودان الغربي تحت ظل العرب المسلمين واضحة، فالاضافة الى النتيجة المعروفة . وهي انتشار العقيدة الاسلامية بين سكان السودان الغربي، فان التجارة ساعدت ايضا على وصول النظم الادارية والاقتصادية والفكرية والفنية العربية الاسلامية الى المراكز التجارية السودانية فازدهرت بذلك حضاريا.